القصة الأوسع لزوجة بوتيفار

في بلدة مغدوش المطلة على صيدا في جنوب لبنان، تقول الأسطورة إن زوجة بوتيفار (حوالي 1500 قبل الميلاد) مدفونة هناك، وهي المرأة التي أغوت يوسف في الكتاب المقدس، الذي لم يذكر اسمها. يذكر الأدب اليهودي والإسلامي والفارسي اسمها بأنه «زليخة». وتروي القصة في الكتاب المقدس أنه بعد خيانة أقارب يوسف وبيعه كعبد (سفر التكوين 39)، نال يوسف استحسان بوتيفار، قائد حرس القصر المصري. وفي ذلك البيت، رفض يوسف محاولات زليخة للتودد إليه وإغوائه. وفي الحادثة التي أدت إلى سجنه، تمسكت زليخة بثوب يوسف، لكنه هرب عارياً من القصر. فكذبت على بوتيفار قائلةً إنه هو المحرض، فتم إرسال يوسف إلى السجن. وهناك، حظي يوسف بنعمة ومكانة جديدتين وأعظم عند الفرعون، ليصبح في النهاية مصدر خلاص وبركات لأقاربه، أي نفس الأشخاص الذين خانوه

تذكرنا هذه القصة بموضوعين متكررين هما نعمة الله ورحمته:

عندما نتعرض للظلم والخيانة، يمكننا أن نصبح مصدر نعمة للناس، ولعدد أكبر بكثير من الناس، وبنعمة أكبر بكثير مما كان سيتوفر لو لم تحدث الخيانة والشر أبدًا. فعندما نتلقى نعمة الله ورحمته، نجلب معها الآخرين أيضً

استمرارية النعمة تحدث دائمًا من خلال محور العفة

لكن هذه القصة ليست سوى فصل مبكر، وهناك فصول سابقة ولاحقة وفصول أخرى قادمة

بلدة مغدوش هي نتوء صخري قديم وموقع مراقبة لمدينة صيدا. خلال العصر الفينيقي (ذروته بين 1200 و800 قبل الميلاد)، كان هذا النتوء الصخري يضم معبدًا مكرسًا لآستارت، إلهة الحرب والجنس الوثنية. تقول الأسطورة الوثنية إن أستارت أنجبت ولدين من أخيها، هما إيروس الشهوة . ومن المرجح أن تكون أستارت هي نفس الإلهة الوثنية لمدينة صيدا، أشتوريث، التي أسرت قلب سليمان بن داود (1 ملوك 11:5)

استولى المسيحيون على المعبد بعد أن أقامت العذراء والدة الإله في كهف هناك أثناء انتظارها عودة ابنها من الوعظ في صيدا .يُشار إلى عمل يسوع في صيدا في العديد من المواضع في العهد الجديد (متى

11:21–22، مرقس 3:8 و7:31، ولوقا 6:17)، بل إن متى 15:21 يشير إلى المدينة باعتبارها ملاذًا ليسوع

واستغرق الأمر إقناع القديسة هيلانة في القرن الرابع من قبل أهل المدينة المخلصين حتى أصدرت الإمبراطورية أيقونة للسيدة العذراء، يُقال إن القديس لوقا رسمها، إلى الكهف/الكنيسة البيزنطية: عذراء مانترا (المنتظرة) أو عذراء ماغدوش

في القرن الثامن، قام السكان المحليون بدفن الكهف وإخفائه هربًا من اكتشافه من قبل الحكام المسلمين المحليين. وعلى عكس الخليفة عمر الذي عفا عن القدس، كانوا يخشون أن يتم تدمير الكهف على يد هؤلاء القادة. ثم تفرّق الكثيرون من سكان المنطقة إلى الجبال الأعلى أو اعتنقوا الإسلام. ولم يشك الصليبيون من الطقس اللاتيني في صيدا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر أبدًا في وجود الكنيسة الصغيرة، حتى مع وجود قلعتهم وكنيستهم الصغيرة على مرمى حجر من الكهف المخفي.

ومع ذلك، بقيت أسطورة الكهف قائمة

في عهد الأمير الدرزي الخير فخر الدين الثاني في أوائل القرن السابع عشر، ساد السلام وحرية الدين في المنطقة. واعترف رئيس أساقفة بيزنطة في صيدا، أوثيميوس ميخائيل سيفى (1682 – 1723)، بأولوية أسقف روما. في تلك الفترة تقريبًا، أُعيد اكتشاف الكهف عندما ذهب صبي راعي غنم بحثًا عن ماعز سقط داخل الكهف. لاحظ الصبي — الذي يمكننا أن نطلق عليه اسم «إنديانا جونز الصغير» — الأيقونة بينما كان الماعز يركض عائدًا إلى أحضانه. فقام بتكديس الصخور ليهرب مع ماعزه المحبوب، مما نبه سكان البلدة إلى اكتشافه العرضي. واستؤنفت رحلات الحج

وهكذا استُبدل عبادة عشتروت بالحب والولاء، اللذين استُعيدا من جديد، لأم الله العفيفة والعذراء، «تابوت العهد الحي». كما تعرض ابنها العفيف والعذري للظلم والخيانة، ليصبح مصدر نعمة مقدمة لجميع البشر، تفوق بما لا يحصى ما كان سيتاح لو لم تحدث الخيانة والشر قط. وحتى لا يظن أحد أن هذا لا علاقة له بقصة بوتيفار أو أن يد الله لا تترك بصمتها في الكتاب المقدس، فليقرأ الوصف المذهل الذي قدمه الإنجيلي مرقس لما حدث مباشرة بعد خيانة يسوع في بستان جثسيماني

مرقس 14:51 وكان شابٌّ، لا يرتدي سوى ثوب من الكتان، يتبع يسوع. فلما أمسكوا به، 52 هرب عارياً، تاركاً ثوبه وراءه

لقد انقضى الشتاء الآن، وتلاشت الأمطار. قومي يا حبيبتي، يا عروسي من لبنان، وتعالي. كم أنتِ جميلة يا حبيبتي، كم أنتِ فاتنة. بين جميع النساء كزهرة الزنبق بين الأشواك